البنـــــاء الـــــسردي في شعـــــر شيركـــــو بيكـــــس

لقمـــان محمـــود

بدأ الإهتمام بالأد ب الكردي عالمياً وعربياً ومحلياً، ومثالنا على ذلك الشاعر المبدع شيركو بيكس، الذي تُرجمت قصائده إلى معظم اللغات العالمية: ك (الإنكليزية، الألمانية، الفرنسية، السويدية، الإيطالية والدانماركية). كما ترجم له عربياً عشر مجموعات شعرية.

هذا الإحتفاء الكبير بالأدب الكوردي، توَج أيضاً على الصعيد المحلي (على الصعيد العراقي)، وخاصة من الناقد فاضل عبود التميمي، الذي ألف كتاباً قيماً بعنوان "البناء السردي في شعر شيركو بيكس ". والسؤال: لماذا السرد في شعر شيركو بيكس؟ يقول المؤلف: لأحقق فيه هدفاً يخرج إلى هدفين: دراسة الشعر، ودراسة السرد معاً.

يتألف الكتاب من أربعة فصول، ففي الفصل الأول، والمعنون ب " شيركو مؤلفاً وساردا "، يحدد المؤلف موقع الشاعرمن متوالية التجديد في الشعر الكردي، من خلال ثلاثة مباحث. ففي المبحث الأول، يقدم المؤلف لمحة تاريخية سريعة عن الشعر الكوردي، بدءاً من الشاعر بابا طاهر الهمداني، المتوفى عام ١٠١٠ ميلادي، والذي فجّر المكبوت اللغوي الكوردي، بعد مرور ثلاثة قرون على الفتح الإسلامي لكوردستان، مروراً ب(أحمد الجزري)، المتوفي عام ١٤٨١ ميلادي، (أحمدي خاني، نالي، مولوي، محوي،فائق بيكس، بيره ميرد، وعبدالله كوران).

هذه المقدمة السريعة أراد منها المؤلف أن يقول: أنَ شيركو بيكس كان وارثاً لسلسلة شعرية طويلة، ولكنه برغم ذلك لم يكن وارثاً سكونياً: تقليدياً، وإنما كان متلقياً مبدعاً همّه الإضافة والتركيب وتجاوز المنجز القديم برؤية جديدة.

أما المبحث الثاني، فيتناول شيركو بيكس مؤلفاً، وخاصة إذا عرفنا أن شيركو بدءاً من "مضيق الفراشات" قد أدخل الشعر الكوردي إلى منعطف جديد، همّه تأسيس رؤية جديدة تعيد تركيب ميثولوجيا الأمة الكوردستانية شعرياً، وقد نجح الشاعر في ذلك.

في المبحث الثالث، والمعنون ب (شيركو ساردا)،يقول المؤلف: أن الشعر والسرد متجاوران منذ القديم، وأن التجانس بينهما تمليه ضرورات موضوعية، هدفها مواكبة أو إستشراف المستجدات والمتغيرات الواقعية والإقتصادية للوصول إلى مضمون جديد.

شيركو بيكس

وقد حدَد المؤلف وظائف السارد حسب نظرية (جيرا جينيه)، للكشف عنها في شعر شيركو بيكس، وذلك بحسب مقولاتها في الوظيفة التواصلية، الوظيفة التوجيهية، الوظيفة الإيديولوجية، الوظيفة السردية والوظيفة الشهادية.

في الفصل الثاني، والمعنون ب "بناء الحدث والشخصية"، يسعى المؤلف إلى الإلمام بعناصر البناء السردي في شعر بيكس، وذلك بالإعتماد على بناء الحدث، وعلى بناء الشخصية.

أولاً: في بناء الحدث، يقول المؤلف إن الحدث بوصفه نشاطاً قابلاً للرصد وللتعيين، لا يمكن الإطمئنان إلى سرديته، إلا إذا كان مشتملاً على حبكة تسهم في تحديد طبيعته الإنشائية. والحبكة-والكلام للمؤلف- سلسلة من الحوادث يقع فيها التأكيد على الأسباب، أو مجموعة من الوقائع الجزئية، مرتبطة ومنظمة على نحو خاص والحدث وفق ذلك إما أن يكون وقائع حقيقية، أو وقائع متخيلة.

ثانياً: في بناء الشخصية، يقول المؤلف: إن الشخصية هي من أكثر العناصر أو الوحدات أهمية في بناء السرد، لأنها (الشخصية) تؤدي السردية بوصفها أحد الأفراد الخياليين، أو الواقعيين الذين تدور حولهم أحداث القصة. وشخصيات الشاعر شيركو بيكس يوزعها المؤلف ويجمعها في الشخصيات الأدبية، الشخصيات التاريخية وشخصيات الشاعر.

في الشخصيات الأدبية، نجده (شيركو بيكس) قد رصد شخصيات كوردية لها مكانتها في الساحة الكوردستانية: ك (مولوي، نالي، سالم، فائق وكوران).

أما في الشخصيات التاريخية، فإنه إختار شخصية الشيخ محمود الحفيد، كما في قصيدته "ملحمة به رده قاره مان". أما في شخصيات الشاعر فإن هذه الشخصيات، شخصيات إنسانية قد إكتشفها الشاعر لأنها بالأساس شخصيات لغوية، مثل الألوان، الكرسي والطبيعة.

في الفصل الثالث، يتطرّق المؤلف إلى ثنائية الزمان والمكان. وقد أراد المؤلف أن يدرس الزمن من خلال الأنماط الزمنية في شعر الشاعر السردي، والتي تُقرأ من خلال: الإسترجاع، الإشارات الزمنية والزمن الحاضر.

ففي الإسترجاع، نجد أن شعر شيركو بيكس يعود إلى ماضٍ لاحق، من خلال إسترجاع داخلي لبدء السرد، فقد أخره السارد لأسباب فنية ترجع إلى طرائق قول الشعر، و الإتصال بقضايا السرد.

أما في الإشارات الزمنية، والتي هي بالأساس إشارات تتخذ من السرد الشعري دلالات لها مكونات زمنية معينة كالإشارات التاريخية، إشارات الصباح، إشارات منتصف الليل.

هذا التقسيم محدد بالإطار التاريخي لزمن الأحداث، والتي إستعملها الشاعر للإحالة على زمن معيَن له حضوره في الذاكرة الكوردستانية، والتي يستحضرها الشاعر من خلال الإشارات التاريخية المحددة، والتي تُحيل على تاريخ مجزرة حلبجة.

بعد أن درس المؤلف الزمن في شعر الشاعر من الناحية السردية، يتحول إلى المكان، بإعتباره (المكان) يحتل موقعاً متميزاً في تجربة الشاعر شيركو بيكس. وقد أراد المؤلف أن يدرس المكان في سرديات الشاعر وفقاً للأنساق الثابتة في تجربة هذا الشاعر المبدع، الذي أخذ من السرد هيأته، ومن الشعر تخيلاته. ولبناء المكان في النص الشعري "الشيركوي"، قسَم المؤلف هذا البناء إلى: المكان الساكن، المكان المتحرك والمكان المتخيل. وبالإمكان القول: أنَ شيركو بيكس قد نجح نجاحاً باهراً في إستحضار كوردستان كاملة ومكملة في شعره.

في الفصل الرابع، وهو الفصل الأخير، يسلّط المؤلف الضوء على السرد الذاتي والسرد الموضوعي، من خلال وسائل البناء السردي المقترن بالحوار وبالوصف. فالعنوان "أساليب البناء السردي ووسائله " يعتبر إزاحة للتفسير النمطي لشعرية السرد عند المبدع شيركو بيكس، وهذا يعني أن الإنزياح عن دلالية لغوية مغايرة للنص الإبداعي المرتبط بالتوليد الدلالي القائم على مغايرة النسق، مصدرها الطبيعي جماليات الخبرة عند الشاعر. فشيركو بيكس ينمّي قصيدته بالحوار السردي كي تبقى حكايته الشعرية، أو روايته الشعرية، أو كما يقول هو حرفياً على غلاف كتابه "الصليب والثعبان ويوميات شاعر": "قصيدة روائية". والحق يقال: أنَ شيركو بيكس قد أوصل الشعر الكوردي إلى مرتبة الملاحم، وإلى مرتبة الأناشيد الخالدة.

قصـــة قصـــيرة

العـــــــود

جمـــال نـــاجي

برغم انني استطيع التعرف على ما يدور في خلده، عن طريق النغمات التي يعزفها كل ليلة على أوتار عوده، الا انني ذلك المساء، أحسست بأن ألحانه مبللة بالحزن والوداع.

في الأصح، كانت أقرب إلى الوداع منها إلى الحزن، وشعرت بأن ذلك الرجل الأربعيني ينفث ما تبقى من روحه، كأنما هو مسافر إلى حيث لا رجعة،، وهذا ما أخافني.

ما يفصل باب شقتي عن شقته، مجرد رقعة مبلطة لا تزيد مساحتها على المترين، وهي مساحة غير كافية لعزل نغمات عوده عن مسمعي، حتى انني حفظت عن ظهر قلب الكثير من اغنياته التي يروقه أن يعزف الحانها في بعض لياليه، و تعرفت على أحزانه وانتكاساته المتخفية فيها، وحتى حين انفصلت زوجته عنه قبل أشهر، بسبب تركه عمله و ضيق عيشه، فقد عزف نغمات متفارقة توحي بالتباعد، لكنها لم تحمل أبدا ملامح الوداع المريرة التي انسكبت هذه المرة في كل مكان من البيت، ثم انني لم أر دمعة واحدة في عينيه يوم زرته مواسيا بانفصال تلك المرأة التي يعشقها عنه:

ألا يمكن أن يكون قد أودع خفقات قلبه وشهقاته في تلك الأوتار التي ذرفت الكثير من الدموع من دون ان اراها.

كل شيء ممكن عنده، فصوته وشكله وحزنه وفرحه وكآبته، كلها ارتبطت بأوتار عوده التي تدعو إلى التساؤل عما إذا كان الكلام ضروريا، وما إذا كان للشفتين دور مهم في الحياة، وما إذا كان لحياته ذاتها أي معنى من دون تلك النغمات التي غدت جزءا من طقوسه اليومية، ومن لحظات فرحنا أو تأملنا العميق، زوجتي وأنا.

منذ أن غادرته زوجته وأنا أواظب على تقديم الطعام إليه مرتين كل أسبوع أو ثلاثا، صحيح أنه يرفض بإباء ذلك الصحن الذي أقدمه له بعد أن يفتح الباب لي، لكنني أدركت منذ زمن أن الإباء ليس أكثر من فضيلة مؤقتة تغلف مأساة ما، كالجوع أو الضعف أو الدمار، لذا لم يكن غريبا أن يقبل - بعد إباء بالطبع - ما أقدمه له، خصوصا أنني حرصت على إيجاد مخارج لبؤس تردده ورفضه، فتارة أرتدي قناع الطرافة مدعيا أنه لا يحسن الطبخ مثل النساء، وتارة أدعي بأن زوجتي اخترعت طعاما جديدا ولا بد من أن نعرف رأيه به.

لكن، في تلك المرة بالذات، لم أتوصل إلى أسباب عزفه ذلك اللحن المخضب بنحيب الوداع!

الوداع لمن ولماذا؟ ثم من يضمن لي ألاّ يكون عازما على الإنتحار مثلاً؟ خصوصا أنه فقد كل شيء بعد أن فصل من عمله وهجرته زوجته؟

هؤلاء الفنانون أكثر غرابة مما ينبغي، ولحن الوداع الذي ظل يعزفه منذ الغروب حمل رهبة لم أعهدها من قبل.

تذكرت مسار حياته منذ أن استأجر الشقة المقابلة لشقتي قبل عامين:

ضحك مشترك بينه وبين زوجته أيام كانت، صياحات وشتائم بينهما، أصوات كؤوس وصحون تتكسر، تحيات رقيقة ينثرها على مسمعي كلما التقينا، ألحان متحررة من الزمان والسأم، عزف مسائي مبتهج، أو مكتئب كما لو انه صادر من كهف معتم.

سألت زوجتي عما إذا توصلت إلى معنى الوداع في نغماته التي تسللت إلى روحي وعقلي، فنظرت بخوف إلى عيني من دون أن تنبس، لكن تقاطيعها كادت تنطق:

- إفعل شيئا من أجل الرجل!

ظلت ألحانه تداح في مسمعي، شجية عميقة تكاد تعتصر القلب، وتلوح بأكف توالدت في فراغ بيتي مختزلة كل أصدائها في كلمة واحدة: وداعا!

صحوت من ذهولي على وقع أقدام رجل يصعد الدرجات الست المؤدية إلى الرقعة المبلطة أمام شقتي، نظرت عبر العدسة السحرية، رأيت رجلا يرتدي بدلة أنيقة يضغط زر جرس بابه، توقف العزف فجأة، فتح الباب، ظهر بلحيته السوداء المهملة وشعره الذي مسه الشيب من ناصيته، حدق في الرجل ذي البدلة الأنيقة، استمع ببؤس الى عبارة ذلك الرجل، التي نطقها من قاع حنجرته الملفوفة بمنديل صوفي:

- هل تدبرت المبلغ؟

هز رأسه نافيا، فعاجله بذات النبرة:

- اتفاقنا أن تسدد الدين، أو تعطيني العود بدلا منه.

حدق فيه بإباء، غاب قليلا داخل بيته، ثم عاد وبيده العود، مسده بكفه وأصابعه، ودعه بعينين منكستين، سلمه للرجل الأنيق الذي وضعه تحت إبطه ومضى..

برغم انني استطيع التعرف على ما يدور في خلده، عن طريق النغمات التي يعزفها كل ليلة على أوتار عوده، الا انني ذلك المساء، أحسست بأن ألحانه مبللة بالحزن والوداع.

في الأصح، كانت أقرب إلى الوداع منها إلى الحزن، وشعرت بأن ذلك الرجل الأربعيني ينفث ما تبقى من روحه، كأنما هو مسافر إلى حيث لا رجعة،، وهذا ما أخافني.

ما يفصل باب شقتي عن شقته، مجرد رقعة مبلطة لا تزيد مساحتها على المترين، وهي مساحة غير كافية لعزل نغمات عوده عن مسمعي، حتى انني حفظت عن ظهر قلب الكثير من اغنياته التي يروقه أن يعزف الحانها في بعض لياليه، و تعرفت على أحزانه وانتكاساته المتخفية فيها، وحتى حين انفصلت زوجته عنه قبل أشهر، بسبب تركه عمله و ضيق عيشه، فقد عزف نغمات متفارقة توحي بالتباعد، لكنها لم تحمل أبدا ملامح الوداع المريرة التي انسكبت هذه المرة في كل مكان من البيت، ثم انني لم أر دمعة واحدة في عينيه يوم زرته مواسيا بانفصال تلك المرأة التي يعشقها عنه:

ألا يمكن أن يكون قد أودع خفقات قلبه وشهقاته في تلك الأوتار التي ذرفت الكثير من الدموع من دون ان اراها.

كل شيء ممكن عنده، فصوته وشكله وحزنه وفرحه وكآبته، كلها ارتبطت بأوتار عوده التي تدعو إلى

الدكتور صباح نوري المرزوك: هذه هموم البيلوغرافيا والثقافة العراقية

حاوره / شكر الصالحي

صباح نوري المرزوك

اقتفى اثر الراحل كوركيس عواد منذ سنوات اهتمامه الاول ، وبذل جهودا مضنية ليحفر لأسمه موقعا في المشهد الثقافي العراقي ، وقد تميز فيما انجزه من مؤلفات رصينة في هذا الشأن اذ اصدر العديد من الكتب التي يشار اليها ، ومازال الدكتور صباح نوري المرزوك يواصل مساعيه رغم قسوة الظروف الراهنة ، وله العديد من الاراء القيمة التي تفصح عن خبرة متراكمة ورؤية ناقدة لما تضخه المطابع من نتاجات معرفية.. ولكي نضع الدكتور المرزوك في مرآة النظر القرائي / النقدي كان هذا اللقاء القصير الذي يلخص اراء الباحث الجاد ويسلط الضوء على مجمل ابداعاته المتحققة ، وهكذا كانت اسئلتنا فلنرافق المرزوك في سيرته الثقافية.

❖ *في البداية توزعت اهتماماتك الثقافية على العديد من الاشتغالات ، اين وجدت نفسك في النهاية ؟*

- عندما فتحت عيني في السبعينات ، كان المشهد الثقافي متعددا فهناك اتحاد الادباء يرأسه الجواهري ، وهناك معارض للرسم تقام ، ومسرحيات تعرض لمخرجين كبار وصحف كان همها الكلمة المبدعة وكان الكل يبحث عن الطريق في الشعر العربي والشعر الشعبي والقصة والرواية والفنون الجميلة والفولكلور وكانت (الراصد) و(المجتمع) و(الوركاء) و (الاذاعة والتلفزيون) و(الثقافة) و (المورد) و(الاقلام) و(الطليعة الادبية) وغيرها منافذ مشجعة للمواصلة انتهى هذا المسار الى طريق ذي ممرين الاول الفهرسة والببلوغرافيا والثاني الفولكلور.

كان تأثير الدكتور حسين علي محفوظ واضحاً في التحفيز والتشجيع والتنوع في الاهتمام الثقافي الى ما يقرب الموسوعية ومن اوائل الذين شجعوني على الاستمرار على حب الحلة مدينة وتراثا .

❖ *تميل الى التبسيط في توثيق الاعلام الذين اصدرت عنهم عدد من الكراريس في السنوات الاخيرة؟*

- تزخر الحلة بتراث عظيم وفي تراثها المديد وتاريخها العريق اسماء لها دور مهم رأيت ان اختار عدداً منهم وضمن برنامج شهري تقرر فيه اصدار كراس بعلم من اعلام المدينة ولكي يصل الى اكبر عدد ممكن من القراء رأينا ان يكون الإصدار مبسطاً همه التعريف بالعلم وقيمة نتاجه بعيداً عن الهوامش الكثيرة والتعليقات الفائضة وقد اصدرنا رقم (١٢) كراساً جمعت عشرة منها في كتاب مستقل اطلقت عليه عنوان (اعلام حليون) ولعل اكبر مشكلة واجهت هذا المشروع هو عدم توافر المعلومات لدى عوائل وورثة هؤلاء الاعلام اذ ان بعضهم لا يعرف شيئاً عن ابيه او جده من اعلام الحلة.

❖ *ما الذي قدمه بيت الحكمة للثقافة العراقية ؟*

- ليس فقط للثقافة العراقية وانما قدم بيت الحكمة مشروعاً حضارياً كبيراً ساهم في رفد المكتبة العربية بالكثير من الكتب اضافة الى عقد الندوات والحلقات التخصصية كما كرمت علماء العراق ورجالاته وهو باقسامه التاريخية والاسلامية والفلسفية والاجتماعية والترجمة قدم ماعجزت عنه مؤسسات اخرى وأسست لمشاريع لم تكتمل ومنها معجم اللغة المسمارية للدكتور نائل حنون الذي صدر الجزء الاول منه فقط.

❖ *حدثنا عن معجم المؤلفين والكتاب؟*

- هذا الجهد الذي امتد الى ثلاثين عاماً من العمل الدؤوب والمتواصل لوضع صورة نهائية لواقع النشاط الثقافي والمعرفي في العراق ورصد اسماء المؤلفين الذين اصدروا كتبهم ورصد اسماء الكتاب الذين نشروا مقالاتهم في احدى وخمسين مجلة محكمة.

ان هذا الكم الهائل من الاسماء والكتب والمقالات وبمختلف اللغات ليدل دلالة واضحة على عقلية الانسان العراقي وافاق تفكيره في شتى مناحي الحياة فلم يترك شاردة او واردة الا وكتب فيها كما يبرز الكتاب الطفرات التي شهدها المشهد الثقافي من اهتمام بالدراسات العليا داخل القطر وخارجها وهذه الرغبة الجامحة في الكتابة والتسجيل والتوثيق.

لقد صدر هذا المعجم عن بيت الحكمة في ثمانية أجزاء وقد قمت بالاستدراك عليه بواقع ثلاثة اجزاء ولدي جزء اكملت فيه ماصدر من ٢٠٠١-٢٠٠٥م ومن هنا ادعو الى تبني مشروع اعادة طبع هذا الكتاب للحاجة الماسة اليه من قبل احدى دور النشر الرسمية او الاهلية..

❖ *ماذا ترى في المشهد الثقافي الراهن؟*

- كيف يكون المشهد واضحاً ويبدو ذلك الصراع واضحاً بين المؤسسات الثقافية كالذي بين وزارة الثقافة واتحاد الادباء لذلك ترى ان الضحية هو الاديب والرسام والمسرحي والمثقف بشكل عام فما تزال مخطوطاته على الرف وكان يتوقع ان تمتد يد لاعانته ولكنه لم يحصد الا الخيبة والخيبة وحدها.

❖ *والمشاريع المستقبلية؟*

- من طبيعتي انني لا اعلن عن مشاريعي غير المطبوعة وما دمت تطلب مني ذكر المشاريع المستقبلية فاقول لك انه يصدر لي قريباً كتاب (تكملة شعراء الحلة او البابليات) في ثلاثة اجزاء يرصد لشعراء المدينة منذ ١٣٥٠هـ حتى اليوم مما يعد استكمالاً لمؤلفي اليعقوبي والخاقاني ولي كتاب عن (الترجمة في العراق) واخر (مكتبة السياب).

التراث الشعبي عدد جديد

زياد مسعود

صدر حديثاً العدد الفصلي الثاني من مجلة العراق الفولكلورية (التراث الشعبي) وقد تصدرت العدد دراسة أ.د. داود سلوم (الاسجاع ذات المدلول التعليمي والفكاهي، ودراسة د. حيدر كمونة عن (دور البادكير في تحسين الاداء المناخي، و(موجز دليل اثار سامراء) للباحث سالم الالوسي و (المنظومة السنية في الاسماء اللغوية) لنبيل العطية و(باصات الخشب في ذاكرة البصريين) لعبد الله رمضان و (سورية والشام في المأثور الشعبي العراقي) لابراهيم عبد الرزاق فيما كتب رئيس التحرير قاسم خضير عباس دراسة عن (الحرف اليدوية والصناعات الشعبية) وكتب الروائي خضير عبد الامير دراسة بعنوان (تأملات في الحكاية الشعبية) ونشرت المجلة عدة حكايات شعبية وعروضاً للكتب ودراسات قيمة اخرى منها دراسته الراحل جورج حبيب الخوري (صيفنا في الموصل) ودراسة الباحث طلال سالم الحديثي (الرسام العراقي والتراث الشعبي) ودراسة الباحث عبد الامير الصراف عن (الجالغي البغدادي) ودراسة د. حسين سرمك حسن (التحليل النفسي للامثال الشعبية العراقية) وهي دراسة جديدة في موضوعها وموضوع (مهنة صيد السمك وتجارته) للباحث خليل ناصر حسين وقد طبق الباحث تفاصيل هذه المهنة في مدينة الشطرة اضافة لمجموعة طيبة من البحوث الاخرى مما يجعل هذا العدد جديرا بالقراءة والاهتمام.